ولكن لم يحدث ابدا ان كانت المبررات الدينية وحدها هي المبررات الرئيسية لممارسة اعمال القهر الاستعماري الا في الحالة الصهيونية. وهكذا، اعتقدت الحركات الاسلامية ان الاسلام السياسي هو اكثر التيارات الفكرية قدرة على المواجهة، باعتباره ايديولوجية من ذات نوع التحدي. خاصة وان ثمة اعتقادا راسخا، لدى هذه الحركات، بان الاسلام، من بين كل الاسلحة الايديولوجية، هو السلاح الذي سبقت تجربته بنجاح عندما تمكن المسلمون من طرد اليهود من مكة والمدينة.

يضاف الى هذا انه اذا كان اليهود يعتقدون بانفسهم «كشعب الله المختار»، واذا كانت اية ايديولوجية علمانية لا تستطيع ان تؤكد اكثر من ان اليهود مجرد بشر عاديين لا يتميزون عن باقي البشرية في شيء، فان الايديولوجية الدينية وحدها تستطيع ان تؤكد عكس ذلك تماما، باعتبارهم الشعب الذي طرده الله من رضاه ورحمته، والقصص القرآني ملىء بما يؤكد ذلك. وفي مقابل مقولة «شعب الله المختار»، يقدم الفكر الاسلامي المسلمين باعتبارهم «خير امة اخرجت للناس» بما يعني ان الفكر الاسلامي في النهاية هو الاكثر قدرة على المواجهة.

وفي ضوء ما سبق، ليس مصادفة اذا ان يكون الاخوان المسلمون هم الهيئة الشعبية الوحيدة في مصر التي ارسلت متطوعيها للقتال ضد الصهيونية في فلسطين، وكان دور الاخوان في فلسطين سببا قويا لاجتذاب المزيد من المؤيدين للجماعة وفكرها، حتى ان اشتراك الجماعة في حرب فلسطين يعد من اهم الاحداث في تاريخها، ومن عوامل تزايد نفوذها وتحولها الى قوة سياسية كبيرة على الساحة السياسية المصرية والعربية من ورائها.

وان احدى القضايا الهامة الاخرى التي يمكن ان تثار بصدد الحديث عن تأثير الظاهرة الصهيونية على تيار الاسلام السياسي، هي العلاقة بين صعود هذا التيار، ممثلا في بعض الجماعات الاسلامية منذ اواخر الستينات وحتى الوقت الحاضر، وبين قضية الصراع العربي ـ الصهيوني. فهذا الصعود يمكن تفسيره، في جانب اساسي، بتطورات الصراع وبخاصة بعد هزيمة العام ١٩٦٧. لقد كانت الهزيمة، في واقع الامر، بمثابة هزيمة للتيار الفكري الذي حمل عبء المواجهة حتى ذلك الوقت، وهو التيار القومي. ولقد أدت الهزيمة الى فقدان الثقة في قدرة هذا التيار على الاستمرار في تحمل اعباء المواجهة، ومن ثم تقدمت اتجاهات عديدة تزعم في نفسها هذه القدرة، وكان تيار الاسلام السياسي ابرز هذه الاتجاهات، وساعده على ذلك ان فكره يمثل ثقافة الشعوب العربية في النهاية، هذا من جانب، ومن جانب ثان، عجز الاتجاهات والتيارات الفكرية الاخرى في المنطقة عن ان تطرح نفسها كقوة بديلة.

ورغم العداء الكبير الذي يحمله هذا التيار للصهيونية، فكرا وكيانا، ورغم الدور الذي قام به في الفترة الاخيرة، من زاوية رفضه لبعض خطوات التسوية مثلا، الا انه يمكن القول ان هذا التيار بتركيزه على الجوانب الدينية فقط في الصراع، وباختزاله للصراع الى مجرد صراع ديني في معظم الاحوال، عجز عن ان يقدم رؤى واضحة لجوانبه الاخرى الاكثر اهمية، وعجز بالتالي وحتى اليوم عن ان يقدم صياغة واضحة لاستراتيجية شاملة للصراع وللمواجهة.